مجلة الحقيقة ISSN: 1112-4210
مجلد: 17عدد: 02 السنة2018 EISSN: 2588-2139

صلة النهضة بالتربية عند رواد الإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث

تاريخ استلام المقال: 2017/10/26 تاريخ قبول المقال:2018/05/24

أ. أمحمد شيلي
- جامعة أحمد دراية ـ ادرار
- mahammedcheli@yahoo.com

ملخص :

إن تتبعنا لجهود مختلف رواد النهضة والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث كشف لنا عن ارتباط وثيق بين النهضة والتربية , مما أثار الإشكال حول علاقة هذه بتلك .

ومن خلال عرض الآراء والأفكار خَلَصنا إلى أن الفكر النهضوي فكر تغييري بالدرجة الأولى , وأن كل تغيير يستهدف الإنسان بالدرجة الأولى , وأن التغيير في الإنسان لا يكون إلا بالتربية الهادفة التي من شأنها أن تخلق جيلاً واثقاً بذاته , مؤمناً بمبادئه ومُثُلِهِ العليا , وقادراً على مواجهة مختلف تحديات العصر . ولذلك كان كل عمل نهضوي مشروطاً برؤية تربوية قادرة على إخراجه من النظري إلى التطبيق .

الكلمات المفتاحية : النهضة , التربية , فلسفة التربية , رواد الإصلاح , الفكر الإسلامي الحديث .

Abstract :

If the efforts of the various pioneers of Renaissance and reform in modern Islamic thought reveal to us a close link between the Renaissance and the education, the question is: What is the relationship of the Renaissance to education?

In view of the fact that every act of renaissance or social or religious reform is directed at the human being in order to change his reality for the better, this can only be achieved under meaningful education. Hence, education was a condition for renaissance in order to remove it from the theoretical.

مقدمة :

لقد كان التفكير في النهضة وسُبُل تحقيقها ضرورة ملحة لدى مفكري المجتمع العربي والإسلامي في القرن التاسع عشر , وذلك نتيجة لما وجد عليه العرب والمسلمون أنفسهم من بؤس وتخلف ... ولما فرضته سياسات الاستعمار الغربي للبلاد , والتي عملت على توسيع الهوة بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي الى أن أصبح يُنعتُ الشرق بالتخلف والغرب بالتفوق والتقدم الحضاري .

وبموجب ذلك كان لزاماً على العرب والمسلمين التفكير ملياً في البحث عن أنجع النظم والمؤسسات التي من شأنها أن ترقى بالإنسان وتدفعه قُدُماً نحو التقدم الحضاري . غير أن المسألة الحقيقية التي أدركها العرب والمسلمون لا تتوقف على مجرد وجود عنصر غربي مستعمر ومستولٍ على خيرات الأمة ومكرِساً لجهل وتخلف أفرادها وحسب , بل هناك . في المقابل . تراث عريق تزخر به الأمة ولطالما كان سبباً في قوتها وتقدمها لقرون , ما يعني أن هناك عامل قوة دفين في الذات وفي العقل العربي والإسلامي , وهو التراث . فبين هذا وذاك ؛ عامل القوة المتمثل في التراث وثوابت الهوية , وعامل الضعف المتمثل في الغرب الاستعماري وماديته الغاشمة , وجد العرب والمسلمون أنفسهم أمام إشكال جوهري مفاده : لماذا تأخر العرب والمسلمون , ولماذا تقدم وارتقى غيرهم في سُلم الحضارة ؟ وما سُبُل تقدم الأمة وتحضُرها ؟

وللوقوف على حلول جوهرية للموضوع , بدأ بزوغ فكر نهضوي عربي على جملة من التصورات والرؤى المتباينة , والتي ــ وان اتفقت

حول ضرورة النهوض بالأمة والارتقاء بها في سلم الرقي والتطور الحضاري ـ إلا أنها اختلفت في وضع الأسس والأولويات التي ينبغي أن يرتكز عليها الإصلاح والتطور . غير أن ثمة أُساً واحداً لا تكاد تفقده في أي محاولة من محاولات رواد النهضة والإصلاح في الوطن العربي والإسلامي , ألا وهو "التربية" ؛ فلماذا ؟ وما علاقة النهضة بالتربية؟

وللبحث في الموضوع ارتأينا الوقوف عند ثلاثة عناصر أساسية هي: النهضة , التربية , والنهضة والتربية عند رواد الإصلاح .

1. النهضة :

يتحدد معنى النهضة في قواميس اللغة العربية برده إلى الفعل الثلاثي "نهض" والنُّهوض :"البراح من الموضع والقيام عنه، نَهَضَ يْنهض نهضا ونُهوضا، واْنَتهض أي قام .وأَنهضتُه أنا فاْنَتهض، واْنَتهض الَقوم وَتَناهضوا: نهضوا لْلقَتَالِ . وأَنهضه :حركه لِلنُّهوضِ .و اسَتْنهضتُه لأمر كَذا إذا أَمرَته بِالنُّهوضِ له. وَناهضتُه أي قاومتُه .والنَّهضةُ بسكون الهاء :العتبة من الأرض تُبهر فيها الدابةُ أو الإنسان يصعد فيها من غمضٍ، والجمع نهاض" [1] .

... ويقال : "نهض من مكانه إلى كذا، ونهض إلى العدو :أسرع إلى ملاقاته، والنهضة :الطاقة والقوة، والوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره" [2].

[1] ابن منظور : **لسان العرب** , دار صادر , بيروت 1968 , ص 245 /7.

[2] مجمع اللغة العربية : **المعجم الوسيط**، , ط4 ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر، 2004 ، ص 959 ,958 .

و مفهوم النهضة اليوم يُحيلنا إلى الكلمة الأوروبية "Renaissance" التي لم تظهر في اللغة الفرنسية إلا مع بداية القرن التاسع عشر، أما من حيث معناها لغويا فيقصد بها" ميلاد جديد" أو بمعنى :إعادة الولادة "Rebirth" والتجديد "Renewal" من الفعل"Renaitre"أي يولد مرة أخرى "To be born again" ومن اللفظ اللاتيني "renãsci"[1].

أما اصطلاحاً فالنهضة هي «هبة مجتمعية تسعى إلى إكساب الحضارة القومية قدرتها على إنتاج المعارف والمهارات في تعامل متكافئ مع الحضارات الأخرى»[2] , وهي «نظرية الصعود من درجة إلى درجة أعلى، أو هي إيصال العرب إلى مستوى الحضارة الكونية »[3] . وتجدر الإشارة إلى أن النهضة مصطلح تاريخي يأخذ معناها أبعاداً تُقربُهُ أحياناً وتُبعدُهُ أحياناً كثيرة عن مفاهيم أخرى شديدة التداخل معه مثل الإصلاح , التجديد , التغيير... غير أننا ارتأينا أن نتناول موضوع النهضة في تداخله مع غيره صارفين النظر عن ما يفصل بين تلك المفاهيم لتكون دراستنا شاملة لمختلف جهود مفكري الإسلام في العصر الحديث من مجددين ومصلحين .

وإذا كانت النهضة الأوروبية في القرنين السابع والثامن عشر قد قضت على مقومات التخلف واستحدثت النظريات العلمية وأقامت

[1]William D. Halsey**, Macmillan Dictionary,** Editorial Director , New York, 1973, p 843

[2] إسماعيل صبري عبد الله : **نحو نهضة عربية ثانية** ,مجلة المستقبل العربي ,العدد161 ,سنة1992 ,مركز دراسات الوحدة العربية ,بيروت , ص4 .

[3] برهان غليون : **اغتيال عقل** , ط6 , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت 1992 , ص 192 .

سلطة العقل والمنطق، فإن النهضة العربية الحديثة التي عرفت بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قامت على إحياء اللغة العربية وبعث التراث الإسلامي وإدخال مفاهيم العصر إلى المجتمعات العربية إضافة إلى معارضة سياسة الحكام الأتراك وما تلاها من حكم استعماري غاشم نال من حرية الشعوب العربية والإسلامية.

وبالعودة إلى سؤال النهضة الذي سبق طرحه في المقدمة والمتعلق بالبحث عن سبب تأخُر المسلمين وتقدُم غيرهم , فقد كان ذلك الإشكال شغلاً شاغلاً لكثير من مفكري الأمة العربية والإسلامية , ولعل أبرزهم (شكيب أرسلان) الذي كتب في الموضوع تحت عنوان : " لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟" . غير أن هذا السؤال على الرغم من أهميته وعمق غوره , إلا أنه لم يكن سوى المنطلق أو نقطة البداية لحركة فكرية عربية إسلامية انشغل بها أصحابها كمنطلقات للنهضة وسُبُل تحقيقها . تلك السُبُل التي بدأت تلوح وهي متأثرة بعدة مؤثرات ناجمة عن احتكاك رواد النهضة والإصلاح بالثقافة الغربية . ويمكن ردها الى ثلاثة عوامل :

أولها : حملة(نابليون بونبارت) على مصر ابتداء من سنة 1798م والتي أبانت للمثقفين المصريين على وجه الخصوص مدى شساعة الهوة بين التقدم الغربي وعمق التخلف العربي الإسلامي[1].

[1] حسين مؤنس : **تاريخ موجز للفكر العربي** , ط1 , دار الرشاد , القاهرة 1996 , ص 340 .

وثانيهـا : تلـك البعثـات والإرسـاليات التبشـيرية التـي شُـرِّعت الأبـواب فـي وجههـا ابتـداء مـن القـرن التاسـع عشـر ومـا كـان لهـا مـن دور في تقريب الثقافة والمعتقد الغربي .

أمـا ثالثهـا : فهـي تلـك البعثـات العلميـة التـي كـان يوفـدها "محمـد علـي باشـا" إلـى بـاريس والتـي كـان يُعيـد أعضـاءها بعـد ذلـك إلـى مصـر. ولعـل أبـرز أولئـك الـذين خرجـوا فـي تلـك البعثـات " رفاعـة رافـع الطهطـاوي " الذي عاد وقد تَشَبَّعَ بأفكار الثورة الفرنسية وببريقها الحضاري [1].

وعليـه فـإن هـذه العوامـل قـد فعلـت فعلهـا فـي بعـض أفكـار وتوجهـات رواد النهضـة والإصـلاح الـذين تـأثروا وجـاءت طروحـاتهم متباينـة , بـل ومتناقضـة, بـين مـن أراد اسـتلهام النمـوذج الحضـاري الغربـي سـاعياً إلـى تطبيقـه علـى الواقـع العربـي المغـاير لـه , وبـين مـن ظـل متمسـكاً بالمشـروع النهضـوي الإسـلامي ضـارباً بمكـامن القـوة العصـرية عرض الحـائط , ومولياً وجهـه نحـو التـراث ومـا يزخـر بـه مـن قـيِّم ومبـادئ وتشـريعات أثبتـت نجاعتهـا وقـدرتها علـى النهـوض بالأمـة كمـا تجلـى ذلـك مـع السـلف. فـي حـين ظهـر مـن شـكك فـي قـدرة النظـرة السـلفية للتـراث وحـدها علـى إصـلاح حـال الأمـة بحجـة أن مـا كـان صـالحاً فـي زمـن ماض ليس بالضرورة أن يكون كذلك في الحاضر .

ولعـل المكسـب الأساسـي للأمـة مـن وراء هـذا الاخـتلاف الناشـب بـين رواد النهضـة والإصـلاح , هـو تزايـد اهتمـام المفكـرين بالقضـية وزيـادة وعـيهم بمـا يكتنفهـا مـن تعقيـد يجعـل مسـألة النهضـة تقتضـي أكثـر مـن

[1] حسين مؤنس : المرجع نفسه , ص 344 .

طرح واحد , وأن درجة تخلف الأمة عن ركب الحضارة أوسع من أن يشملها مجال واحد . وهكذا تنامى الإدراك لدى المفكرين بأن مسألة نهضتنا ذات طبيعة جدلية , وأن أبعادها متعددة تشمل الإجتماعية والسياسية والتربوية والدينية ....

وبموجب هذا الوعي والسعي المتزايد استقر التفكير الإصلاحي في القرن التاسع عشر على تيارين متعارضين ؛ يدعو أحدهما الى ضرورة الأخذ من الحضارة الغربية باعتبارها نموذج القوة الحضارية في العصر , ويدعو الآخر الى ضرورة إقامة الإصلاح على المبادئ الإسلامية والتراث . في حين ظهر تيار ثالث يتبنى مسألة التوفيق بين دعاة الأصالة المحافظين ودعاة المعاصرة المجددين . وكان من نتائج هذه التيارات الثلاث ما بات يُعرف عندنا بالفكر النهضوي والإصلاحي في الوطن العربي والإسلامي .

ونحن وإن كنا غير قادرين . في هذه الأسطر الوجيزة . على التفصيل في فحوى تيارات النهضة والإصلاح , إلا أننا سنحاول تتبع بعض المحاولات النهضوية في الفكر العربي المعاصر ومدى ربطها بين الإصلاح والتربية .

2. التربية :

لقد عَرَّف اللُغَويُّون وأصحاب المعاجم لفظة التربية بأنها : (إنشاءُ الشيءِ حالاً فحالاً إلى حَدِّ التمام) و "(ربَّ) الولدِ ـ ربّاً : وليَّه وتَعَهَّدُهُ بما يُغذِّيه ويُنمِّيه ويُؤدِّبه"[1] , وجاء في لسان العرب، "ربا الشيء

[1] - مجمع اللغة العربية : **المعجم الوسيط** , ط4، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، 2004 , ص 321 .

: زاد و نمـا، و أربيتـه: نميتـه"[1]. وفـي القـرآن الكـريم، ﴿ ويُربـي الصدقات﴾[2]، أي يزيدها، و رُبيت في بني فلان: نشأت فيهم .

وفـي المعجـم الوسـيط، "تربـى : تنشـأ وتغـذى وتثقـف، وربّـاه : نمّـى قواه الجسمية والعقلية و الخلقية"[3].

وهكـذا فـإن المعنـى القاموسـي فـي لغتنـا العربيـة لكلمـة تربيـة، يتضمن العناصر التالية : النمو، التغذية، التنشئة، و التثقيف.

أمـا اصـطلاحاً فقـد حـاول الكثيـر مـن المـربين، قـديما و حـديثا، أن يعرِّفـوا التربيـة تعريفـا جامعـاً مانعـاً، لكـنهم اختلفـوا فـي ذلـك اختلافـات كثيـرة لاخـتلافهم فـي تحديـد الغـرض مـن التربيـة وأهـدافها فـي المجتمـع . و مـن بـين تلـك التعـاريف مـا يـراه أفلاطـون (427 – 348 ق م) بأنهـا " إعطـاء الجسـم كـل جمـال و كمـال ممكـن، و دور المعلـم لا يقـوم علـى فـرض العلوم،إنمـا بتوجيـه التلميـذ بالمناقشـة و الأسـئلة ". ويـرى آرسـطو(384– 322 ق م) بـأن " التربيـة إعـداد العقـل للكسـب، كمـا تعـد الأرض للنبـات و الـزرع ". أمـا إمانويـل كانـت (1724– 1804م) فيـرى بـأن " الغـرض مـن التربيـة الوصـول بالإنسـان إلـى الكمـال الممكـن، و مهمـة التربيـة أن تحتـرم حريـة الفـرد الطبيعيـة و تسـاعده علـى تحقيـق إنسـانيته ". فـي حـين يـذهب جـون جـاك روسـو (1778– 1812م) إلـى

[1]- ابن منظور : **لسان العرب** ، دار صادر , بيروت، 1968 , ص14/304 .

[2] سورة البقرة , الآية 276 .

[3] مجمع اللغة العربية : **المعجم الوسيط** , المرجع نفسه , ص 322 .

أن " الغاية من التربية، ألا نحشو رأس الطفل بالمعلومات، إنما نهذب قواه العقلية، ونجعله قادرا على تثقيف نفسه بنفسه "[1].

وعموماً , فالتربية عملية واعية موجهة لإحداث التغيير في سلوك الأفراد والجماعات. و بهذا تصبح أداة اجتماعية و تجديدا حضاريا. ذلك أن المعنى الأصلي للفظ التربية، هو عملية تخريج إمكانات الأفراد في إطارهم الاجتماعي و الثقافي، و تكوين اتجاهاتهم، وتوجيه نموهم، و إنماء وعيهم بالغايات التي يسعى إليها مجتمعهم . وهي بذلك(التربية)عملية شاملة، تتناول الإنسان من جميع جوانبه النفسية والعقلية والعاطفية والشخصية والسلوكية وطريقة تفكيره وأسلوبه في الحياة، وتعامله مع الآخرين في البيت والمدرسة وفي كل مكان يكون فيه.

ولما كان التفكير النهضوي تفكيراً تنويرياً بالدرجة الأولى فهو " مشروع تغيير " لواقع وحال المجتمع , ومحاولة لبث قيم ومفاهيم وثقافة جديدة تتماشى والمرحلة الراهنة , أو إحياء وتعزيز لقيم ومبادئ أصيلة تغافَلَ عنها الناس . وذلك بغرض إنشاء جيل جديد يؤمن بذاته وقادر على أخذ زمام المبادرة كرهان لفرض الذات وبناء المستقبل . غير أن نتيجة كهذه لا يمكن بلوغها إلا بالاستثمار في الإنسان , وذلك بواسطة التربية .

[1] رونيه أوبير : **التربية العامة** , ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين،1967، ص:23.

ولـذلك , فلـيس غريبـاً أن تجـد لكـل رائـد نهضـوي أو مصـلح دينـي أو اجتمـاعي فكـراً تربويـاً مصـاحباً . ولكـي نوضـح هـذه المسـألة أكثـر , ارتأينـا الوقـوف علـى بعـض الآراء والأفكـار التربويـة لـدى بعـض رجـال النهضـة والإصـلاح فـي العـالم الإسـلامي نـذكر مـن بيـنهم ؛ رفاعـة الطهطـاوي , والشـيخ محمـد عبـده , وجمـال الـدين الأفغـاني , والشـيخ عبـد الحميد بن باديس , ومحمد إقبال وغيرهم .

3. النهضة والتربية عند رواد الإصلاح :

1.3. رفاعة الطهطاوي* :

لقد حظـي رفاعـة الطهطـاوي فـي صـغره بعنايـة كبيـرة مـن قبـل أبيـه وعائلتـه التـي كانـت تزخـر بالشـيوخ والعلمـاء، إذ حفـظ القـرآن , وبعـد وفـاة والـده تلقـى علـى أيـدي أخوالـه العلـوم فحفـظ المتـون التـي كانـت متداولـة فـي عصـره، وقـرأ علـيهم شـيئًا مـن الفقـه والنحـو . وفـي السادسـة عشـرة مـن عمـره سـافر رفاعـة الطهطـاوي إلـى القـاهرة حيـث التحـق بـالأزهر فـي عـام 1817م، وشـملت دراسـته فـي الأزهـر الحـديث والفقـه والتفسـير والنحـو والصرف... وغير ذلك[1].

ولقـد عُـرف الطهطـاوي بالـذكاء والتميـز, لكـن نقطـة التحـول فـي حياتـه كانـت بموجـب اختيـاره مـن قبـل الحكومـة المصـرية ضـمن البعثـة العلميـة إلـى فرنسـا كـواعظ دينـي . غيـر أنـه سُـمح لـه بدراسـة الترجمـة

*رفاعة الطهطاوي : هو أول رائد من رواد النهضة العربية, ولد بمدينة"طنطا"إحدى مدن محافظة سوهاج بمضر سنة 1801م , عُرف بفكره التحرري والتربوي ,توفي سنة 1873م .

[1] ألبرت حوراني : **الفكر العربي في عصر النهضة** , دار النهار للنشر , بيروت 1958 , ص 91 .

وتعلُّم اللغة الفرنسية , وذلك ما مكنه من الاحتكاك بالحضارة الغربية والقراءة لبعض مفكريها من أمثال مونتسكيو وروسو وغيرهما .

ولما عاد رفاعة الطهطاوي إلى مصر تم تعيينه مترجما للغة الفرنسية بالمدرسة الطبية وقام بإدارة مدرسة المترجمين (مدرسة الألسن) وأشرف على القسم العربي بجريدة الوقائع المصرية [1].

أما عن فكره النهضوي , فيُعتبر الطهطاوي أول رائد للنهضة العربية الحديثة في صورتها " الوطنية " , وذلك لأن مشروعه لم يكن قومياً صريحاً , وإنما كان يُنشد التقدم العربي من وراء التقدم الوطني المصري . ولعل مرد ذلك إلى كون الرجل يتداخل لديه مفهوم الأمة بمفهوم الوطن , إذ يرى بأن الجنس البشري هو:«جماعة الناس الساكنة في بلدة واحدة تتكلم بلسان واحد , وأخلاقها واحدة وعوائدها متحدة , ومنقادة عادة لأحكام واحدة , وتسمى هذه (الجماعة)الأهالي ,والرعية والجنس , وأبناء الوطن»[2].

ولقد جاء مشروع رفاعة النهضوي شاملاً لمختلف الجوانب ؛ الإجتماعية , والسياسية , والإقتصادية , والتربوية , والثقافية ... مستفيداً من مكتسباته المعرفية التي تزود بها من أوربا , مما جعل فكره بمثابة أول جسر عربي عبرت عليه الثقافة الأوربية عموما والفرنسية منها خصوصاً إلى العالم العربي , مؤذنة ببدء النهضة العربية[3] . ولكن

---

[1] عاطف العراقي : **العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر** , ط4 , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر , الاسكندرية 2012 , ص147 .

[2] ألبرت حوراني : مرجع سابق , ص 98 .

[3] محمد جميل قيمنه : **دراسة نقدية في فكر الطهطاوي** , مجلة الفكر العربي, العدد 39 ـ 40 , ص 32 .

ذلك لم يجعل من فكر الطهطاوي فكراً " تغريبياً " كما يتصور البعض , بل كان توفيقيا إلى حد بعيد , إذ كثيراً ما حاول المزج بين مقومات الحضارة والتقدم في مختلف مجالات الحياة السائدة في أوربا وما يقوم عليه الواقع العربي وما يتطلبه من تحديات , وفي سبيل تحقيق تلك النقلة الحضارية فقد أسهم الطهطاوي في طرح الكثير من الأفكار والمبادئ الجديدة على الفكر العربي مثل : الحرية . والوطن , والواجبات والحقوق الوطنية وغيرها. ووضع لها مفاهيماً تتماشى وتطلعاته النهضوية .

أما عن صلة التربية بالنهضة في فكر رفاعة الطهطاوي فتكمن في كون التربية هي الإطار المنهجي والزمني الذي يمكن وفقهما أن تتشكل الأمة بما يمكنها من تحقيق الرقي والتقدم . "فالأمة التي تتقدم فيها التربية، بحسب مقتضيات أحوالها، يتقدم فيها أيضا التقدم والتمدن على وجه تكون به أهلا للحصول على حريتها"[1].

وإيماناً منه بذلك فقد جاء فكره التربوي موجها لمختلف مكونات المجتمع لتشمل الجانب السياسي (تربية أبناء الملوك أو رؤساء الدولة , وتربية أبناء الوطن) .والجانب الإجتماعي وفق تراتبية "طبقية" اجتماعية كانت سائدة في عصره ,إضافة إلى الجانب الاقتصادي والإداري ... كما اهتم الطهطاوي أيضاً بتعليم المرأة وأولاه أهمية بالغة أعتبرها مساوية للرجل في العلم والعمل . إذ يُلح على أن تتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك، فإن ذلك يزيدهن أدبا وعقلاً. يقول

[1] محمد عمارة : **الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي** , ج2 , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , 1973 , ص 277 .

الطهطـــازي:«ينبغـــي صـــرف الهمـــة فـــي تعلـــيم البنـــات والصـــبيان لحســـن معاشـــرة الأزواج , فتـــتعلم البنـــات القـــراءة والكتابـــة والحســـاب ونحـــو ذلـــك , فـــإن هـــذا مـــا يزيـــدهن أدبـــاً وعقـــلاً ويجعلهـــن بالمعـــارف أهـــلاً , ويصـــلحن بـــه لمشـــاركة الرجـــال فـــي الكـــلام والـــرأي ...»[1] , وعـــن قيمـــة ذلـــك فقـــد «قضـــت التجربـــة فـــي كثيـــر مـــن الـــبلاد أن نفـــع تعلـــيم البنـــات أكثـــر مـــن ضـــرره , بـــل أنـــه لا ضـــرر فيـــه أصـــلاً»[2] . ويمكـــن للمـــرأة عنـــد اقتضـــاء الحـــال، أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال، على قدر قوتها وطاقتها ...، و"هذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة، ..فالعمل يصـــون المـــرأة عمـــا لا يليـــق" [3] .غيـــر أن مشـــاركة المـــرأة للرجـــل ليســـت مطلقـــة , إذ لا يمكـــن المســـاواة بينهمـــا فـــي مـــا يتعلـــق بتـــولي مناصـــب الحكـــم والقضـــاء وذلـــك لمـــا تتطلبـــه مثـــل هـــذه المناصـــب مـــن قـــدرات قـــد تشُـــقُ علـــى النساء .

وتجـــدر الإشـــارة إلـــى أن اهتمـــام الطهطـــاوي بـــالمرأة ومطالبتـــه بـــالتحرر الفكـــري وانفتاحـــه علـــى الثقافـــة الغربيـــة وإعجابـــه بأهلهـــا خاصـــة الفرنســـيين مـــنهم , قـــد جعـــل الكثيـــر مـــن الدارســـين ينصـــبونه رائـــداً للتيـــار التغريبـــي المُعَصْـــرَن القائـــل بضـــرورة مســـايرة ثقافـــة العصـــر والأخـــذ بعوامـــل

[1] رفاعة الطهطاوي : **المرشد الأمين للبنات والبنين** , تقديم منى أحمد أبو زيد , مكتبة الاسكندرية , مصر 2011 , ص143 .

[2] المصدر نفسه , ص 145 .

***جمال الدين الحسيني الأفغاني:** هو مفكر وصلح ديني إسلامي ولد في قرية"أسد آباد" بأفغانستان سنة 1839م, وتلقى تعليمه في مدينة كابل حيث تعلم اللغة العربية والعلوم الدينية والعقلية والتاريخ, وانتقل إلى الهند وتعلم اللغة الإنجليزية وجمع بين الثقافتين القديمة والحديثة. اشتغل بقضايا الإصلاح الديني والتحرر السياسي. توفي سنة 1886م.

[3] محمد عمارة : المصدر السابق , ص 393 .

القوة كسبيل للنهوض بالأمة دونما عودة إلى التراث وثوابت الأمة . غير أن الدارس لأفكاره التربوية يجد بأن التربية لديه أساساً ومفتاحاً للفضيلة , وأن التربية الأخلاقية والدينية أولى من الدنيوية وذلك بعضاً من ملامح مبادئه التربوية المتماشية والشخصية الإسلامية .

وعموماً , فإن الطهطاوي قد جعل من التربية أساساً للبناء الإجتماعي والسياسي والاقتصادي ... وأسهم أيما إسهام في تقدم المستوى التربوي في مصر إذ كان من أوائل المؤسسين للإدارة التربوية والتعليمية في بلاده , وألّف بعض الكتب المدرسية مثل : " المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين"، وهو أول كتاب من نوع " التربية المدنية "عرفته المكتبة العربية، و" القول السديد في الاجتهاد والتقليد " وهو كتاب فقهي -تعليمي ضم أصول الاجتهاد والاجتماع والقياس وأصول التقليد الجائز، و أيضا " التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية "وهذا الكتاب أول محاولة تبسيط اللغة العربية وقواعدها، وكذلك كتاب "جمال الأجروحية "وهو في" الإعراب"[1] . وفضلا عن ذلك فقد نادى بضرورة تعميم التربية ومجانية التعليم وإلزاميته. وفي تحديده للمفهوم التكاملي للتربية فقد رأى بضرورة البدء بالتربية الأخلاقية ثم الدينية فالدنيوية . وآمن بأن "الثروة الوطنية هي نتاج الفضيلة , وأن مفتاح الفضيلة هو التربية"[2]

[1] موسى أبوبكر : **إشكالية فكر النهضة العربية** ,أطروحة دكتوراه في الفلسفة , جامعة الحاج لخضر باتنة , السنة الجامعية 2010\2011 , ص 45 .

[2] ألبرت حوراني : **الفكر العربي في عصر النهضة** , مرجع سابق , ص 101 .

2.3. جمال الدين الأفغاني *:

لقد اكتسب الأفغاني شخصية فذة ومؤثرة نتيجة لمختلف العلوم والثقافات التي حصلها والمدن والقارات التي زارها ، إذ زار مكة المكرمة حاجا عام 1857 م قبل أن يعود إلى أفغانستان كرئيس لوزرائها, وبعد أن عُزل من منصبه سافر إلى مصر سنة 1870 م ومنها إلى دار الخلافة "الأستانة" بناء على دعوة السلطان عبد العزيز الذي عينه عضوا في مجلس المعارف، قبل أن يغادرها عائداً مرة أخرى إلى مصر عام1871م حيث استقبله الخديوي إسماعيل ورئيس وزرائه رياض باشا بالترحاب , وخلال هذه الفترة توطدت علاقته بالشيخ محمد عبده قبل أن يتم نفي جمال الدين سنة 1879م [1], حيث غادر إلى الهند ومن ثم إلى باريس أين دعا محمد عبده إلى الإلتحاق به من أجل مشاركته في إصدار جريدة "العروة الوثقى" [2].

أما عن فكره النهضوي فقد جاء نتيجة لبواعث كثيرة , لعل أبرزها؛ تدهور الحضارة الإسلامية وتأخر المسلمين عن الركب الحضاري متجاهلين ما في دينهم من عوامل القوة والمجد والعزة ...., وأيضاً الركون إلى التقليد في الأمة مما يستوجب ضرورة فتح باب الاجتهاد , إضافة إلى مسألة التوفيق بين العلم والإيمان وعدم التبعة للغير والانبهار به...

[1] أحمد أمين : **زعماء الإصلاح في العصر الحديث** , ط 1 , المكتبة العصرية , صيدا بيروت . لبنان 2007 , ص 49 .

[2] المرجع نفسه , ص 63 .

فبنـاءاً علـى هـذه الأسـباب وغيرهـا , رسـم جمـال الـدين الـنهج التجديـدي الـذي ارتـآه مناسـباً للنهـوض بالأمـة . ولقـد كـان تركيـزه الأكبـر علـى الجانـب السياسـي والـديني فالاجتمـاعي , مشـجعاً علـى الثـورة والتحـرر مـن قيـود المسـتعمر والتـزود بـالوعي السياسـي والتمسـك بالـدين كسـبل أساسـية لتحقيـق النهضـة , ولـذلك عُـدَّ جمـال الـدين واحـداً مـن رواد التيـار المحـافظ الـذي يـرى أصـحابه بـأن مكـامن قوتنـا فـي الرجـوع إلـى ديننـا . كمـا دعـا الأفغـاني إلـى ضـرورة توحيـد جهـود الأمـة ووحـدة صـفها وفرقهـا ونبـذ الفُرقـة فيمـا بينهـا وكـان سـباقاً فـي الـدعوة إلـى فكـرة إنشـاء الجامعة الإسلامية .

وعلـى الـرغم مـن أن الإصـلاح الإجتمـاعي لـم يكـن أولـى مـن السياسـي فـي تفكيـر جمـال الـدين الأفغـاني , إلا أنـه . علـى الـرغم مـن ذلـك ـ لـم يغفُـل دور التربيـة ومـا يمكـن أن تحققـه مـن نتـائج فـي سـبيل النهضـة , كمـا لـم يُقلـل مـن قيمـة علـم التربيـة وأثـره الإيجـابي فـي حيـاة الأفـراد والأمـم , بـل كثيـراً مـا اعتبـر دور القـائمين علـى التربيـة كـدور الأطبـاء فـي المجتمـع إذ يقـول : « ... ومـن ثـم قـد وُضـعت علـوم التربيـة والتهـذيب , لـتحفظ علـى الـنفس فضـائلها , وتردهـا عليهـا إن اعتلـت وانحرفـت عنهـا إلـى جانـب الـنقص والاعوجـاج . كمـا وُضـع الطـب ولوازمـه لحفـظ صـحة البـدن كمـا بيَّنـا . فالحكمـاء العمليـون القـائمون بـأمر التربيـة والإرشـاد , وبيـان مفاسـد الأخـلاق ومنافعهـا , وتحويـل النفـوس مـن حالـة الـنقص إلـى حالـة الكمـال بمنزلـة الأطبـاء ... »[1]. ومـا هـو مؤكـد لـدى الدارسـين لفكـر

الأفغاني أن للرجل فلسفة تربوية لا يمكن إنكارها ,وهي وإن كانت تعنى بإعداد القادة والحكام وما يصلح للوعي السياسي كهدف أسمى , إلا أنها لم تغفُل تنشئة الطفل كخطوة أولى في سبيل تحقيق ذلك . يقول الأفغاني:« أما الطفل , فيجب أن تتعهده الأم رضيعاً , فطفلاً بكمال الاعتناء الصحي , ليكون صحيح الجسم, صحيح العقل , ثم ترضعه حب الوطن مع تدريجه بالمعلومات اللازمة , وعدم إطفاء نوره الفطري بتعليمه الكذب , وتحبيب العمل إليه , وتمرينه عليه مع رعاية سنه »[1].

وعليه نستنتج أن اهتمام جمال الدين الأفغاني بالإصلاح الديني والسياسي قبل الاجتماعي , لم يصرفه عن النظر إلى العمل التربوي وما يحمله من قيمة حضارية من شأنها الدفع بالأمة قُدُماً نحو التحرر والنهوض .

3.3. الشيخ محمد عبده *:

لقد كانت نقطة التحول في حياة الشيخ محمد عبده متمثلة في التقائه ب "جمال الدين الأفغاني " سنة 1871م وملازمته له بعد أن وجد في جمال الدين مبتغاه [2]وما كان يطمح إلى تعلمه , وما يساعده على الخروج من جمود التعليم الأزهري وانغلاقه . ف «توسم في أستاذه

---

[1] جمال الدين الحسيني الأفغاني : **رسائل في الفلسفة والعرفان** , ج1 , ط1 , دار الشروق الدولية , القاهرة 2002 , ص 96 .

[1] محمد باشا المخزومي : **خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني** , ط2 , دار الحقيقة , بيروت 1980 , ص 133 .

***محمد عبده حسن خير الله** :مفكر ومصلح ديني إسلامي, ولد في قرية"محلة نصر" بمركز "شيراخيت" بمصر سنة 1849م, تلقى تربية دينية في مسقط رأسه فحفظ القرآن ثم التحق بالأزهر فنال الشهادة العالمية التي تُجيز له التدريس, اشتغل بالعلم والإصلاح وارتأى في التربية خير سبيل للنهوض بالأمة, توفي سنة 1905م.

[2] أحمد أمين : المرجع نفسه , ص 218 .

الشيء الذي بحث عنه طويلاً في الأزهر وفي غيره فلم يجده. كما أن الأستاذ توسم في تلميذه استعداداً لخوض معركة الإصلاح مهما غلا الثمن وبهُظَتِ التكاليف»[1] . وهكذا ارتبط الرجلان ــ الأستاذ والتلميذ ــ ببعضهما واقترنا بصفات ميزتهما معاً لعل أبرزها ؛ "الأنفة ,العزة ,الكبرياء , السمو , وسعة العقل والشعور بالنُبل والعظمة" .[2]

ولقد أبانت قوة الارتباط بين محمد عبده وجمال الدين الأفغاني عن الكثير من مؤهلات عبده العقلية ونواياه التجديدية ودعوته إلى الحرية , خاصة من خلال بعض مقالاته في "جريدة الأهرام المصرية" والتي استمرت قبل أن يلتحق بأستاذه جمال الدين الأفغاني في باريس ويُشاركه في إصدار مجلة العروة الوثقى . وهكذا كانت لمحمد عبده الكثير من المقالات والكتب والأعمال التي أبان من خلالها عن فكره النهضوي والتربوي .

أما عن فكره النهضوي فيلتقي كثيراً مع أستاذه جمال الدين الأفغاني من حيث الإلحاح على ضرورة العودة إلى التدين الصحيح والتحلي بالمعرفة والوعي الفكري . يقول عبده :« أي إصلاح للشرق والشرقيين لابد وأن يستند إلى الدين حتى يكون سهل القبول وشديد الرسوخ وعميق الجذور في نفوس الناس ...»[3] غير أن محمد عبده يختلف عن جمال الدين من حيث تركيزه على الإصلاح الاجتماعي

---

[1] سمير أبو حمدان : **الإمام محمد عبده جدلية العقل والنهضة** , الشركة العالمية للكتاب , بيروت لبنان ,1992, ص25 .

[2] المرجع نفسه , ص25 .

[3] أمجد سعد شلال المحاويلي :**لمحات من رؤى محمد عبده الإصلاحية في التربية والتعليم**, مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية, المجلد 6, العدد 1, ص 144 .

كأولوية بدلاً من السياسي الثوري الذي كان محل تركيز جمال الدين. إذ كانت قناعة عبده قائمة على أن كل تغيير على مستوى القمة وهرم الحكم إنما يقتضي تنشئة وتعبئة وتربية اجتماعية هادفة إلى إصلاح أحوال الناس والنهوض بهم نحو الرقي والتحرر .

وعن صلة النهضة بالتربية عند محمد عبده فتتجلى من خلال إيمانه بأن تغيير المجتمع والنهوض به إنما يتم عن طريق التربية إذ يقول :« إن أمر التربية هو كل شيء وعليه يُبنى كل شيء , وكل مفقود يُفقد بفقد العلم , وكل موجود يوجد بوجود العلم »[1] . فبالتربية تتحقق معاني الإنسانية, يقول عبده :«إن الإنسان لا يكون إنساناً حقيقياً إلا بالتربية , وليست هي إلا عبارة عن اتباع الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من الأحكام والحكم والتعاليم . وهي عبارة عن السعادة الحقيقية , تعلم الإنسان الصدق والأمانة ومحبة نفسه , فإذا تربى الإنسان أحب نفسه لأجل أن يحب غيره وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه »[2] . وبناءاً على هذه القناعة فقد عمد محمد عبده إلى محاولة إصلاح حال التربية والمؤسسات التعليمية في مصر وقدم عدة مُقترحات في سبيل تحقيق ذلك تخص كلاً من : المدارس الأميرية ,

[1] المرجع نفسه , الصفحة نفسها .

***عبد الحميد بن باديس الصنهاجي :** هو واحد من أقطاب الفكر النهضوي والإصلاحي في الوطن العربي , ولد في مدينة "قسنطينة" بالجزائر سنة 1889م في عائلة مشهود لها بالعلم والجاه والنفوذ, حفظ القرآن وتلقى علوم الدين في سن مبكرة قبل أن يسافر إلى جامع الزيتونة بتونس ويأخذ عن كبار العلماء , اشتغل بالعلم والتربية والإصلاح , توفي سنة 1940م .(يُنظر عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي الحديث والمعاصر ,محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس نموذجا**,ج1, ط1,دار مداد, قسنطينة2009, ص192.)

[2] محمد رشيد رضا : **تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده** , الهيئة المصرية العامة للكتاب ,القاهرة , 2012 , ص2/469,470 .

والابتدائيـــة , و التجهيزيـــة , والأهليـــة , والأجنبيـــة , والعســـكرية , والدينيـــة متمثلـة فـي الأزهـر , ودار العلـوم , ومـدارس الجمعيـة الخيريـة . وقـدم رؤاه وفـق مـا يـراه قـادراً علـى تحقيـق النهضـة والرقـي الاجتمـاعي والثقـافي والـديني ... وحريصـاً فـي الوقـت نفسـه علـى ألا يتعـارض ذلـك مـع مـا انتهى إليه العلم الحديث .

وتجـدر الإشـارة إلـى أن الشـيخ محمـد عبـده كـان شـديد التـأثر بفكـر أسـتاذه جمـال الـدين الأفغـاني مـن جهـة , وكثيـر الشـبه بفكـر الطهطـاوي مـن حيـث الاهتمـام بـالمرأة والانفتـاح علـى الغـرب لأن المسـلم المعاصـر ـ فـي نظـره ـ ينبغـي أن تؤسـس نهضـته علـى التربيـة التـي تأخـذ بالـدين والعلـم معـاً. وعليـه فـإن انفتـاح عبـده علـى الغـرب كـان مبـرره ضـرورة الأخـذ بـالعلوم الحديثـة مـن أجـل إنشـاء جيـل متمسـكاً بدينـه وهويتـه ومتسلحاً بعوامل القوة التي تمكنه من مواجهة مختلف التحديات .

وعليـه فـإن التربيـة فـي نظـر محمـد عبـده هـي السـلاح الفعـال فـي مواجهة حالات التخلف والتردي التي تعم المجتمع .

4.3. عبد الحميد ابن باديس* :

هنـاك عوامـل كثيـرة سـاهمت فـي بلـورة فكـر الشـيخ عبـد الحميـد بـن بـاديس لعـل أبرزهـا, حفظـه للقـرآن الكـريم وتلقيـه لعلـم الـدين فـي سـن مبكـرة , ثـم رحلاتـه العلميـة التـي كانـت سـبباً فـي التقائـه بخيـرة الشـيوخ والعلمـاء, فقد رحل سنة 1908م إلـى تـونس بغرض طلـب العلـم ليتخـرج مـن جـامع الزيتونـة حـاملاً شـهادة التطويـع فـي سـنة 1911-1912م. وبعـد عودتـه مـن تـونس مـارس التعليم في الجوامع الجزائرية ، وقد لقي في ذلك معارضة

شديدة من قبل أعدائه الذين عملوا على منعه من التدريس ، وخلقوا له المكائد ، ولفقوا إليه التهم.

كما كانت لابن باديس رحلة أخرى نحو بيت الله الحرام، والتي مكنته من الاتصال بعدة أطراف من المشرق العربي ، فازداد بذلك معرفة وخبرة من خلال لقاءاته مع العلماء أمثال الشيخ" بخيت " بوساطة معلمه الشيخ حمدان لونيسي ، فاطلع على أحوال العرب ومعاناتهم , فعاد إلى الجزائر سنة 1913م وهو مقتنع تماما بأن الثورة هي الملاذ الوحيد للشعوب العربية من أجل التحرر والتقدم والرقي[1].

ولقد كان الفكر الإصلاحي لابن باديس قائماً على أسس دينية سلفية يلتقي فيها كثيراً مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا , غير أنه يتميز بما يقتضيه واقع المجتمع الجزائري آنذاك فضلاً عن انفتاحه الفكري , إذ كثيراً ما اعتمد في تنفيذ أفكاره على وسائل ومناهج حديثة . كما عمل على التجديد وتجافي الجمود والانغلاق وقاوم محاولات إدماج المستعمر الفرنسي للجزائر لا جغرافياً ولا لغوياً ولا دينياً ... قائلاً :

« شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له رام المحال من الطلب»[2]

[1] المرجع نفسه , ص 129.130.

[2] عمار طالبي : **ابن باديس حياته وآثاره** , ج 1 , الشركة الجزائرية للطباعة والنسر والتوزيع , 1986 , ص 571 .

ولـم يكـن العمـل الإصـلاحي النهضـوي عنـد ابـن بـاديس مجـرد أفكـار نظريـة , بـل كـان يـربط النظـري بـالتطبيق ولـيس أدل علـى ذلـك مـن إنشـائه . رفقـة زميلـه الشـيخ محمـد البشـير الإبراهيمـي . لجمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائـريين والتـي كـان مـن أنشـطتها ممارسـة الـدعوة والتعلـيم والتوجيه لعامة الناس وخاصتهم في الجوامع والكتاتيب .

وكغيـره مـن رواد النهضـة والإصـلاح فقـد ربـط ابـن بـاديس بـين النهضـة والتربيـة عـن قناعـة خاصـة مفادهـا "أن التربيـة هـي أسـاس النهضـة , وأن المدرسـة هـي المصـنع الـذي تُصـنع فيـه الأجيـال" , إذ يقـول :« والمدرسة هي المصنع الذي يصنع عقول الأجيال الصاعدة، ويعد القادة المفكرين الذين تقع على عاتقهم عملية التغيير الثقافي والحضاري فـي المجتمـع »[1] . وان بـالعلم تُقـاد الأمـم , وأن صـلاح المجتمـع بصـلاح علمائـه وفسـاده بفسـادهم ,وصـلاح العلمـاء بصـلاح تعلـيمهم . إذ يقـول: « لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإن العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام، وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم...ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم...والتعليم هو الذي يطبع شخصية المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته، وما يستقبل من عمله شخصية المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته، وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره، فإذا أردنا أن نصلح العلماء،

[1] رابح تركي : **الشيخ عبد الحميد بن باديس, فلسفته وجهوده** , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر 1969, ص 242 .

لنصلح التعليم»[1]. فعلى هذا الأساس كان لابن باديس رأيه الخاص في تربية النشء الجزائري تربية خاصة، نظرا لظروف الجزائر الصعبة، وكان لفلسفته التربوية منبعان أساسيان هما " الدين الإسلامي بكل ميراثه الروحي والثقافي والحضاري والأخلاقي، وواقع المجتمع الجزائري بكل مشكلاته وأمراضه وتخلفه .وبالتالي فهي فلسفة تجمع بين الفكر والتطبيق، وترفض التحليق في عالم النظريات المجردة .يقول وهو يتحدث عن مقر جمعية العلماء« و أن فيها اليوم مصنعا للنسيج وقانون هذه الجمعية ينص عليه، و ينص على تعليم العربية والفرنسية، وما فتحت هذه المدرسة إلا لخدمة العلم وأهله، وتربية النشء وتثقيفه، وللجمعية نيات أخرى تنوي أن تقوم بها في المستقبل ...تنوي أن تبعث البعثات العلمية إلى الخارج، وتسعى جهدها في تحقيق ما ينص عليه قانونها الأساسي من تأسيس المصانع والملاجئ والمحلات العامة»[2].

ومن أبلغ أهداف التربية عند ابن باديس أنها تشتق من فلسفته ونظرته للمجتمع والحياة، فهي ترمي إلى تحقيق القيم معتمدة على العلم من أجل تحقيق أهدافها الدينية، والعقلية، والنفعية، وكمال الحياة الفردية

---

[1] المرجع نفسه , ص 242 .

***محمد إقبال** : هو فيلسوف ومصلح ديني واجتماعي إسلامي , ولد في أسرة مسلمة في "سيالكوت" وهي مدينة في "البنجاب" بالهند سنة 1877م , حفظ القرآن وتعلم العربية والفارسية بمسقط رأسه قبل أن ينتقل إلى "لاهور" (عاصمة البنجاب) ليتحصل على شهادة ليسانس في الأدب , ثم ماجستير في الفلسفة , ودرَّس في جامعتها قبل أن ينتقل إلى أوربا حيث نال الكتوراه في ألمانيا سنة 1907م . اشتغل إقبال بقضايا التحرر والإصلاح والتجديد وتربية الذات الإنسانية , توفي سنة 1938م .(يُنظر أحمد معوض : **العلامة إقبال حياته وآثاره** ,الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980 , ص 50 , 51 .)

[2] المرجع نفسه , ص 243 .

والاجتماعية «فالكمال الإنساني متوقف على قوة العلم، وقوة الإرادة، وقوة العمل، في أسس الخلق الكريم والسلوك الجيد.»[1] فمن هذا المنطلق التربوي ينطلق ابن باديس لخدمة وطنه فيبدأ بالجزائر، ثم بالمغرب العربي، ثم تأتي خدمة الوطن العربي والإسلامي«عليكم أن تلتفتوا إلى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه، بما عندكم من علم، وبما اكتسبتم من خبرة، محافظين على مقوماتها سائرين بها في مركب المدنية»[2].

فمن خلال هذه الأسس والغايات التربوية يكون ابن باديس قد جعل من حركة التعليم العربي أساسا من الأسس الهامة لنهضة تعليمية عربية إسلامية واسعة النطاق وممهداً بذلك لنهضة فكرية جديدة قائمة على محاربة الانحراف،والتخلف والجمود داخل المجتمع الجزائري، ومواجهة الاستعمار وتسلطه.

5.3. محمد إقبال* :

لقد كانت لمحمد إقبال عدة إسهامات اجتماعية وإصلاحية تمثلت في مختلف الجهود النضالية والفكرية التي قدمها الرجل من خلال رحلاته وأسفاره من أجل الدفاع عن المسلمين والمطالبة بحقوقهم , كما تتجلى أيضاً من خلال مؤلفاته الشعرية والنثرية , ومن لُغَاتِهِ العربية والإنجليزية والأردية والفارسية ,ومن خلال ما حصله من ثقافات إسلامية وهندية وغربية .

وكانت جهوده موجهة نحو محاولة تجديد التفكير الديني في الإسلام من خلال تجديد الإنسان المسلم وذلك بالعودة إلى الذات من

[1] عمار طالبي : مرجع سابق , ص 102 .

[2] المرجع نفسه , ص 10 .

خلال فلسفة عرفت ب"فلسفة الذات" أو ما يصطلح على تسميته ب"الذاتية" أو "خودي" بالأردية . وهي جهود تمحورت على المستوى السياسي حول استقلال العالم الإسلامي بصفة عامة وطرد المستعمر , واستقلال الأقلية المسلمة في الهند بصفة خاصة وتحظى بموطن خاص بها حتى لا تندثر بين الأكثرية الهندوسية , وهو المسعى الذي تحقق بعد وفاة محمد إقبال بإنشاء "باكستان" سنة 1947م .

أما عن فكرة التجديد والإصلاح التي أرادها "محمد إقبال" ودافع عنها وعبّر عنها في كتابه "تجديد التفكير الديني في الإسلام" فتأتي بعد تشخيص منه لواقع الأمة الإسلامية وما تعانيه من ضعف وهوان ناتجين عن سيطرة المستعمر وفرض منطقه من جهة , وعن حالة الركود والجمود التي شابت تعاليم الدين الإسلامي وجعلتها في دائرة الشكوك والشبهات من جهة أخرى. وما نتج عن ذلك كله من يأس في النفوس ووهن في التفكير وضعف في العزائم . ولذلك وجب أن يكون التجديد والنهضة . في نظر محمد إقبال ـ تفكيراً ومنهجاً يقومان على النقد وإعادة البناء , وينتهي إلى دور الإسلام في توجيه حياة الإنسان. وهي ضرورة لابد منها للتخلص من الاستعمار الصليبي ولمواجهة الفكر الغربي المادي الإلحادي ولإزالة الضعف العام عن المسلم المعاصر. وتنشد هذه الفكرة تأويل الوجود على أسس روحيه، وتحرير روح الفرد، ووضع مبادئ إنسانية توجه تطور المجتمع الإنساني على أساس روحيته. أي بالتغيير في مفهوم الإنسان لعالم الطبيعة وتحديد مبادئ عالمية لضمان التغيّر والتجدّد في المجتمع الإنساني. كل هذا يجري في الكون، ومن خلال سيطرة الإنسان على

العلاقات بين وحداته: الإنسان، الوجود، والله. وإدراكه لظاهرتين أساسيتين هما ظاهرة تغيّر العالم وظاهرة حركة الإنسان، هذه الحركة التي جعلت الحياة متجددة باستمرار، هذا التجدد يبدأ في داخل نفس الإنسان في تفكيره ووجدانه ومشاعره ثم يتحول إلى خارج النفس، فيكون عبارة عن تسخير في عالم الطبيعة بواسطة العلوم الطبيعية والصناعات، ويكون اجتهادا في الواقع الاجتماعي وفي الأحكام، هذه الحركة وهذا التجدد في داخل النفس أو في الطبيعة أو في المجتمع هي من أصل واحد تعود إلى الحركة الإلهية، وتسعى إلى بلوغ الروحانية الإلهية التي هي مصدرها ومقصدها [1].

أما عن صلة النهضة بالتربية عند إقبال , فقد ارتأى أن كل تغيير أو تجديد منشود ينبغي أن يبدأ من الإنسان ذاته لا من الخارج . وهي القناعة التي رسخها محمد اقبال كمبدأ أسس عليه فلسفته برمتها "فلسفة الذات" , وجعل مرتكز تلك الفلسفة هو التربية . ورأى بأن تربية الذات الإنسانية تقتضي الأخذ بكل ما من شأنه أن يُسهم في تقويتها من أسس وعوامل تساعد الإنسان على التسامي عن كل مآتي الضعف والاستجداء . وأن الأخذ بأسس تقوية الذات كالعشق والفقر , والشجاعة ومواجهة الصعاب ... تُعد أساس خوض الذات غمار التربية [2], لتتدرج

[1] جيلالي بوبكر : **الإصلاح والتجديد لدى محمد إقبال ومالك بن نبي** , دار المعرفة ,باب الوادي . الجزائر 2010 , ص 45 . 46 .

[2] محمد إقبال : **والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق؟** , ترجمة محمود أحمد غازي نثراً , وصاوي شعلان شعرا , ط1 دار الفكر . دمشق 1988,ص74 .

ـ بموجب ذلك . وفق مراحل التربية بدءاً من الطاعة , ثم ضبط النفس , وصولاً الى تحقيق النيابة الإلهية [1].

وببلوغ مرحلة النيابة الإلهية تتحقق غايات التربية عند محمد إقبال , وذلك بظهور الإنسان الكامل , الذي هو المجدد للتاريخ , النافخ في صور المجد والقوة , والعمل والتضحية التي من الضروري أن تتحقق في الإنسان ليقوم بأداء رسالته على أحسن وجه , والتي بموجبها يضمن الحرية والخلود الأبدي , وإذا ما جاءه الموت واجهه وهو مبتسم[2].

فبظهور الإنسان الكامل تتحقق مختلف الكمالات الإنسانية , والتي منها ؛ الإستخلاف على أحسن وجه , والحرية , والخلود , وتسخير الكون لصالح الإنسان والسيطرة عليه ... وفي ذلك سعادة الإنسان في الحياة , والفوز والخلود بعد الممات .

خاتمة :

لعل أبرز ما نخلص إليه من خلال هذا البحث المتعلق بعلاقة النهضة بالتربية في جهود رواد الإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث هو جملة من النتائج , والتي يمكن بسطها في ما يلي :

أن جهود ومساعي مفكري الإسلام في العصر الحديث , وإن اختلفت بين رواد النهضة والإصلاح والتجديد , إلا أنها تتفق في جملة

[1] محمد إقبال :**ديوان الأسرار والرموز** ,ترجمة عبد الوهاب عزام , دار المعارف,القاهرة 1956 , ص 37 ـ 40 .

[2] نجيب الكيلاني : **إقبال الشاعر الثائر** , الشركة العربية للطباعة والنشر , القاهرة 1959 . ص 51 .

من الأهداف , والتي أهمها ؛ الارتقاء بواقع الأمة نحو الأحسن, وتحقيق الوثبة النوعية التي من شأنها أن تثّبت أقدامنا على طريق التقدم و الانعتاق من كل براثن الجهل والتخلف والتبعية والاستعباد , وتجاوز مختلف العوائق التي أَخّرَت الأمة وزادت من أطماع غيرها في الاستلاء عليها واستغلال خيراتها .

لقد أدرك رواد النهضة العربية , كما أدرك غيرهم , أن ذلك التغيٌر المنشود لا يمكن تحقيقه إلا بالاستثمار في الإنسان , وذلك بتثقيفه وتوعيته وتعبئته من الناحية النفسية والخلقية والدينية والاجتماعية والسياسية ... بما يجعله مدركاً لواقعه , وواعياً بالتحديات المفروضة عليه . وأمراً كهذا لا يتحقق إلا بوعي الذات وشحذ الهمم والتمسك بالهوية العربية والإسلامية والاعتزاز بها مع ضرورة التطلع على ثقافة العصر والتعايش مع ما يطرحه من مستجدات .

ثم أن الحقيقة التي أضحت مسلمة لدى رواد النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي . من خلال جهودهم . هي أن كل طموحاتنا في تحقيق نهضة عربية إسلامية قوية وفاعلة إنما تتوقف على مدى قدرتنا على الارتقاء بالإنسان . وأن لا سبيل إلى إنشاء جيل مؤمناً بذاته وثابتاً على مبادئه القومية والدينية ومواجهاً لتحديات العصر إلا بالتربية , والتربية قبل كل ما سواها . لأن بالتربية وحدها نستطيع أن نغرس في الأجيال المبادئ والأفكار التي نؤمن بها , وبها نُلَقنُهُم الثقافة والتاريخ والمبادئ التي تشكل هويٌتهم , وبها نضبط العين التي ينظرون بها إلى غيرهم.

وعليه , فإن للتربية علاقة وطيدة بالنهضة , إذ لا تتحقق هذه الأخيرة إلا بها . أي أن قيام نهضة مجتمع ما مرهونة بقيام ثورة تربوية تسبقها لتغيِّر واقع الإنسان من حال إلى حال ؛ من مُنفَعل إلى فاعل , ومن مَقود إلى قائد , ومن هامش التاريخ إلى صانع للتاريخ . ولعل ذلك ما فعلته التربية المحمدية للرعيل الأول من الأمة الإسلامية .

المصادر والمراجع :

أولاً :

1 . القرآن الكريم .

ثانياً : مصادر الدراسة :

2 . إقبال (محمد):ديوان الأسرار والرموز ,ترجمة عبد الوهاب عزام , دار المعارف,القاهرة 1956.

3 . إقبال (محمد): والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق؟ , ترجمة محمود أحمد غازي نثراً , وصاوي شعلان شعرا , ط1 , دار الفكر . دمشق 1988.

4 . الأفغاني (جمال الدين الحسيني): رسائل في الفلسفة والعرفان,ج1, ط1,دار الشروق الدولية,القاهرة 2002.

5 . رفاعة الطهطاوي : المرشد الأمين للبنات والبنين , تقديم منى أحمد أبو زيد , مكتبة الاسكندرية , مصر 2011.

ثالثاً : مراجع الدراسة باللغة العربية :

6 . أبو حمدان (سمير): الإمام محمد عبده جدلية العقل والنهضة ,الشركة العالمية للكتاب, بيروت لبنان,1992.

7ـ العراقي (عاطف) العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر,ط4,دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر , الاسكندرية 2012.

8 . الكيلاني (نجيب) : إقبال الشاعر الثائر , الشركة العربية للطباعة والنشر , القاهرة 1959.

9 المحاويلي (أمجد سعد شلال): لمحات من رؤى محمد عبده الإصلاحية في التربية والتعليم , مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية , المجلد 6 , العدد 1 , العراق 2016.

10 . المخزومي (محمد باشا): خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني , ط2 , دار الحقيقة , بيروت 1980.

11 . أمين (أحمد): زعماء الإصلاح في العصر الحديث, ط1, المكتبة العصرية,صيدا بيروت . لبنان 2007.

12 . أوبير(رونيه) : التربية العامة , ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين،1967.

13 . بوبكر (جيلالي):الإصلاح والتجديد لدى محمد إقبال ومالك بن نبي,دار المعرفة,باب الوادي ,الجزائر2010.

14 بوصفصاف (عبد الكريم): الفكر العربي الحديث والمعاصر,محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس_ نموذجا ,ج1, ط1, دار مداد , قسنطينة 2009 .

15 تركي (رابح): الشيخ عبد الحميد بن باديس, فلسفته وجهوده في التربية والتعليم , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر 1969.

16 . حوراني (ألبرت) : الفكر العربي في عصر النهضة , دار النهار للنشر , بيروت 1958.

17 . رضا(محمد رشيد) : تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده , ج 2 , الهيئة المصرية العامة للكتاب ,القاهرة , 2012 .

18 . طالبي (عمار): ابن باديس حياته وآثاره , ج 1 , الشركة الجزائرية للطباعة والنسر والتوزيع , 1986.

19 عبد الله (إسماعيل صبري): نحو نهضة عربية ثانية , مجلة المستقبل العربي , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , العدد161 , سنة1992 .

20 . عمارة (محمد):الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي ,ج2, المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت 1973.

21 . غليون (برهان) : اغتيال عقل , ط6 , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت 1992.

22 قيمنه (محمد جميل): دراسة نقدية في فكر الطهطاوي ,مجلة الفكر العربي المعاصر, العدد 39 40, سنة 1985

23 . معوض (أحمد) : العلامة إقبال حياته وآثاره ,الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة 1980 .

24 . مـؤنس (حسـين) : تـاريخ مـوجز للفكـر العربـي , ط1 , دار الرشـاد , القـاهرة , 1996 .

رابعاً : الموسوعات والمعاجم :

25 . ابـن منظـور : لسـان العـرب , ج7 , ج14 , دار مصـادر للطباعـة والنشـر , بيـروت , 1990.

26 ــ مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط , ط4 ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر، 2004.

خامساً : المجلات:

27 مجلة الفكـر العربـي المعاصـر,عصـر النهضـة العربيـة, مركـز الإنمـاء القـومي, بيروت, العدد 39,40 ,سنة1985.

28 . مجلـة المسـتقبل العربـي , مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة , بيـروت , العـدد161 , سنة1992 .

29 . مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ,جامعة بابل . العراق , المجلد6 , العدد1 , سنة 2016 .

سادساً : الرسائل الجامعية :

30 أبوبكر (موسـى): إشـكالية فكـر النهضـة العربيـة ,أطروحـة دكتـوراه فـي الفلسـفة , جامعة الحاج لخضر باتنة , السنة الجامعية 2010 \2011.

سابعاً : باللغة الأجنبية :

William D. Halsey**, Macmillan Dictionary,** Editorial Director , New York, 1973−31 .